سنة التغيير

**مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية**

إعداد

أبو مريم محمد الجريتلي

**عناصر الموضوع:**

1. المقدمة.
2. مفهوم سنة التغيير وحقيقته.
3. تغيير الله وتغيير القوم.
4. التغيير مسؤولية فردية جماعية.
5. صور سنة التغيير.
6. موجبات سنة التغيير.
7. مناهج النظر في سنن التغيير.
8. نماذج لسنة التغيير: ] قصة سبأ [ ] قصة الأقرع والأبرص [ ] قصة صاحب الجنتين [.
9. سنة التغيير في حياة الصحابة.
10. سنة التغيير وواقع المسلمين اليوم.

**المقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

نتكلم اليوم عن سنة من أهم السنن في القرآن الكريم، بل هي قطب الرحي الذي تدور حوله السنن الأخرى، لأن الله تعالى إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ( ألَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ).[[1]](#endnote-2)

ولقد نبه القرآن على حقيقة ثابتة وهي زوال الأمم وتبدل المجتمعات و الأقوام وتبدل الأجيال و القرون، وفق عوامل ومسببات ترتكبها الإنسانية في سيرها، تلك العوامل أبرزها القرآن في صور أكثر من أن تحصى، ولكن يكفي المتأمل تدبر سنة من سنن الله ألا وهي سنة التغيير ليقف على الحقائق، ويفسر الماضي، ويتوقع المستقبل، في منظومة واضحة المعالم تتكامل فيها الأسباب وتتواصل مع النتائج بل اضطراب أو فساد.

1. **مفهوم سنة التغيير وحقيقته:**

التغيير هو: انتقال وتحول من وضع إلى وضع آخر، ومن حال إلى حال آخر.

وسنة الله في التغيير هي: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى لعباده، بناء على سلوكهم وأفعالهم سلبا أو إيجابا، وما يترتب على ذلك من نتائج.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " إن لفظ التغير لفظ مجمل، فالتغير في اللغة المعروفة لا يراد به مجرد كون المحل قامت به الحوادث فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب إذا تحركت: إنها قد تغيرت، ولا يقولون للإنسان إذا تكلم ومشى إنه تغير، ولا يقولون إذا طاف وصلى وأمر ونهى وركب إنه تغير إذا كان ذلك عادته ؛ بل إنما يقولون تغير لمن استحال من صفة إلى صفة كالشمس إذا زال نورها ظاهرا لا يقال إنها تغيرت فإذا اصفرت قيل تغيرت.

وكذلك الإنسان إذا مرض أو تغير جسمه بجوع أو تعب قيل قد تغير، وكذلك إذا تغير خلقه ودينه مثل أن يكون فاجرا فينقلب ويصير برا أو يكون برا فينقلب فاجرا فإنه يقال قد تغير.

وفي الحديث: رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متغيرا، لما رأى منه أثر الجوع ولم يزل يراه يركع ويسجد فلم يسم حركته تغيرا وكذلك يقال: فلان قد تغير على فلان إذا صار يبغضه بعد المحبة فإذا كان ثابتا على مودته لم يسم هشته إليه وخطابه له تغيرا.

وإذا جرى على عادته في أقواله وأفعاله فلا يقال إنه قد تغير قال الله تعالى: ( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )[[2]](#endnote-3). ومعلوم أنهم إذا كانوا على عادتهم الموجودة يقولون ويفعلون ما هو خير لم يكونوا قد غيروا ما بأنفسهم فإذا انتقلوا عن ذلك فاستبدلوا بقصد الخير قصد الشر، وباعتقاد الحق اعتقاد الباطل قيل: قد غيروا ما بأنفسهم مثل من كان يحب الله ورسوله والدار الآخرة فتغير قلبه وصار لا يحب الله ورسوله والدار الآخرة فهذا قد غير ما في نفسه. "[[3]](#endnote-4).

فسنة التغيير معادلة ثابتة مفادها: أن الله لن يغير حال قوم من وضع مرضي مريح إلى وضع ضنك مذموم أو العكس إلا إذا غير هؤلاء القوم ما في قلوبهم، فإذا وجهوا قلوبهم إلى مولاهم وامتثلوا أوامره وابتعدوا عن نواهيه غيّر الله حالهم إلى أحسن حال، وإذا توجهت قلوبهم إلى الشهوات وارتكست أنفسهم في حمأة الرذيلة غيّر الله حالهم إلى أسوأ حال، يقول سبحانه: ( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ) [[4]](#endnote-5).

1. **تغيير الله وتغيير القوم:**

قال تعالى: ( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )[[5]](#endnote-6).

تشير الآية الكريمة إلى تغييرين:

 الأول: تغيير القوم ما بأنفسهم.

 الثاني: تغيير الله ما بالقوم.

فجعل سبحانه في الآية الكريمة لفظ ( لا يغير ) فاعلها يعود على الله، و لفظ ( حتى يغيروا ) فاعلها يعود على القوم.

وتغيير القوم لما بأنفسهم يراد به: تغيير المعتقدات والأفكار و المشاعر والأحاسيس سلبا أو إيجابا، وما يترتب على ذلك من تغيير في السلوك من أقوال وأفعال على قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن عند أهل السنة والجماعة استنادا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ " [[6]](#endnote-7)

وهذا التغيير يحدث أولاً، ثم يتبعه تغيير الله لما بالقوم، والله عز وجل سيغير ما بالقوم وعدًا صادقا إن هم غيروا ما بأنفسهم وأما ما يرجوه البعض: بأن يحدث الله التغيير الذي يخصه قبل أن يقوموا هم بالتغيير الذي خصهم الله به، فهم مخالفون لنص الآية، وهذا الترتيب فيما ينبغي أن يحصل أولاً، وما يحدث تالياً، هو الذي يضع البشر أمام مسئولية حوادث التاريخ ومن هذه النافذة يمكن إبصار أثر البشر في أحداث التاريخ ومسئوليتهم إزاءها.

فالتغيير يبدأ من القوم سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى، أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل، ويكون بمثابة الأسباب التي متى وجدت: وجدت النتائج ؛ إذ أن حدوث التغيير من الله عز وجل مترتب على حدوثه من البشر سلبًا وإيجابًا.

وللأسف نجد اليوم أن كثيراً من الناس يتذمرون من واقع الحال إذا لم يكن مواتيا لهم، ولسان الحال إن لم يكن لسان المقال: لما فعل الله بنا ذلك ؟ وذلك لجهلهم بسنة التغيير..

فهل سألوا أنفسهم: ماذا غيرنا ؟ ماذا بدلنا ؟ هل أدينا أم قصرنا ؟ هل أطعنا أم عصينا ؟ هل صبرنا أم جزعنا ؟ هل شكرنا أم جحدنا ؟

 ترجو النجاة ولم تسلك مسـالكها \*\*\* إن السفينة لا تمشي على اليبس

فهذه حقيقة ثابتة لا تتغير.. إذا غيّر الله حال الناس من الشر إلى الخير فبشيء فعلوه، وإذا غيّر حالهم من الخير إلى الشر فبشيء فعلوه، فلا يغير سبحانه ما بالعباد، من عز ورغد عيش واتحاد كلمة وغير ذلك من صنوف النعم، إلا إذا غيروا ما بأنفسهم، من طاعة الله والاستقامة على دينه، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فصاروا بعد العزة أذلة، وبعد الاجتماع والاتحاد متفرقين ومختلفين، وبعد رغد العيش وأمن السبل إلى فقر وحاجة واختلال أمن، إلى غير ذلك من أنواع العقوبات.

فإذا تابوا إلى الله سبحانه، وبادروا إلى الأعمال الصالحات أعطاهم الله العزة بعد الذلة، والقوة بعد الضعف، والاتحاد بعد الاختلاف، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، إلى غير ذلك من أنواع النعم.

1. **التغيير مسؤولية فردية جماعية:**

قال تعالى: ( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )[[7]](#endnote-8).

إن مجال التغيير الذي يحدثه الله، هو ما بالقوم وذاك يشمل الغنى والفقر، والعزة والذلة، والصحة والسقم والنصر والهزيمة والوحدة والفرقة والسيادة والتبعية وهذا يلحق بالقوم، قال تعالى في الشر: ( وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )[[8]](#endnote-9).

 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مجالس الذكر عن الخير: ".... قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ "[[9]](#endnote-10)

والفرد في المجتمع عضو من أعضاء ذلك الجسد الكبير لا يتخيل عدم تأثير العضو على المجموع فضلا عن تأثير المجموع على ذلك العضو فهو نسيج متكامل ولكنه نسيج من نوع خاص هو نسيج اجتماعي يجري عليه ما يجري على الجسد الواحد من الصحة والمرض والقوة والضعف بل والحياة والموت، فالتغيير الفردي له أثره على التغيير الاجتماعي و التغيير الاجتماعي له أثره على التغيير الفردي.

قال الله تعالى: ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ)[[10]](#endnote-11)

وانظر للمثال الرائع الذي يصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية مثال السفينة:

 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا " [[11]](#endnote-12)

فالأمة تجازى إن قصرت في تقويم الفرد وإن كان فيها صالحوها وخلت من مصلحيها.

فعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: " لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ " وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ " [[12]](#endnote-13)

وعن عمر بن عبد العزيز قال: " كَانَ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا اسْتَحَقُّوا كُلُّهُمُ الْعُقُوبَةَ "[[13]](#endnote-14).

وعن بلال بن سعد قال: " إِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا أُخْفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةَ "[[14]](#endnote-15).

فهي بهذا الاعتبار سنَّة اجتماعية فردية. وإذا تدبرنا مبدأ النصيحة الواجبة على كل فرد بل هي الدين كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ " قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "[[15]](#endnote-16) لعلمنا دور الفرد في التغيير سلبا وإيجابا.

ولو تدبرنا كذلك مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو خيرية هذه الأمة ( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ )[[16]](#endnote-17) وعلمنا أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وظائف الدولة الإسلامية لعلمنا دور المجتمع في التغيير سلبا وإيجابا.

فعلاقة الفرد بالمجتمع في سنة التغيير تشبه لحد كبير علاقة الشجرة بجذورها والثمار التي نجنيها من تلك الشجرة هي نتاج عملية مشتركة بين الجذور والفروع فلا نرجو من الصبار أن يثمر شهدا،

قال تعالى:( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا )[[17]](#endnote-18)

فالفرد هو القاعدة للبناء الاجتماعي والمجتمع هو البناء العلوي، فإذا انهارت القاعدة سقط البنيان ( فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ )[[18]](#endnote-19)، وقال سبحانه: ( أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ )[[19]](#endnote-20).

والفرد يملك تحديد نوع المجتمع الذي يريد أن يعيش فيه، لذلك شرعت الهجرة من دار الكفر لدار الإسلام ومن دار البدعة لدار السنة ومن دار المعصية لدار الطاعة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ " [[20]](#endnote-21)

والمجتمع يملك في سلطانه طرق تقويم الفرد وإصلاحه ومن ذلك الحدود والتعزيرات والهجر الاجتماعي كما في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيها على لسان كعب: " وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْه ُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ..... وفي نهاية القصة نرى كيف دور المجتمع في حالة التواصل الاجتماعي.... سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ " [[21]](#endnote-22)

وهنا ننتبه لمسألة مهمة ألا وهي: أن فساد الفرد يترتب عليه سنة التغيير الفردية ما أسر بذنبه فإن جهر به ولم يأخذ المجموع على يديه عمتهم سنة التغيير العامة.

وكلما غير الأفراد من أعمالهم غير الله من أحوالهم قدرا وفق ما غيروا من أعمالهم حتى إذا ما تخدر شعورهم وتأصلت شرورهم وتبلدت أحاسيسهم و أعلنوا الفواحش وأظهروا القبائح وصاروا يشهرونها ولا يرونها شيئا منكرا معيبا , أو اتخذوها منهجا عاما في حياتهم , أصابهم من الشر والفساد والدمار والهلاك وظلم بعضهم البعض بقدر ما تركوا من الخير والصلاح.

( وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ \* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَر)[[22]](#endnote-23)

" ومن خطاب لوط لقومه يظهر أن الفساد قد استشرى فيهم بكل ألوانه. فهم يأتون الفاحشة الشاذة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين:

يأتون الرجال. وهي فاحشة شاذة قذرة تدل على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها. فالفطرة قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطهارة مع المرأة، فتكون هذه جريمة فاحشة، ولكنها داخلة في نطاق الفطرة ومنطقها.

فأما ذلك الشذوذ الآخر فهو انخلاع من فطرة الأحياء جميعا. وفساد في التركيب النفسي والتركيب العضوي سواء. فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط الحياة الأكبر، وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن هذه المباشرة. وجهز كيان كل من الزوجين بالاستعداد للالتذاذ بهذه المباشرة، نفسيا وعضويا، وفقا لذلك التناسق. فأما المباشرة الشاذة فلا هدف لها، ولم يجهز الله الفطرة بالتذاذها تبعا لانعدام الهدف منها. فإذا وجد فيها أحد لذة فمعنى هذا أنه انسلخ نهائيا من خط الفطرة، وعاد مسخا لا يرتبط بخط الحياة! ويقطعون السبيل، فينهبون المال، ويروعون المارة، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرها. وهي خطوة أبعد في الفاحشة الأولى، إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض..

ويأتون في ناديهم المنكر. يأتونه جهارا وفي شكل جماعي متفق عليه، لا يخجل بعضهم من بعض. وهي درجة أبعد في الفحش، وفساد الفطرة، والتبجح بالرذيلة إلى حد لا يرجى معه صلاح!"

وفهْم الصحابة لهذا المعنى جعلهم ينبهون من بعدهم أن الله يوقع سنة التغيير في المجتمعات إذا تقاعست عن دورها الإصلاحي وركنت إلى المفسدين ولم تأخذ على أيديهم و تقوم بإصلاح ما أفسدوا كثيرة منها:

" عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [[23]](#endnote-24)(، وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ " [[24]](#endnote-25)

1. **صور سنة التغيير :**

لما كان التغيير هو التحويل من حال إلى حال والتغيير هو تغيير الله وتغيير القوم كما بينا نتج عن ذلك أربع صور ؛ صورتان في حق الله، وصورتان في حق القوم :

تغيير الله لحال القوم :

1. من الأحسن إلى الأسوأ.
2. من الأسوأ إلى الأحسن.

 أحسن أسوأ

تغيير القوم لحالهم مع الله:

1. من الأحسن إلى الأسوأ.
2. من الأسوأ إلى الأحسن.

 أحسن أسوأ

وسنتكلم أولا عن صور تغيير الله من الأحسن إلى الأسوأ و من الأسوأ إلى الأحسن ثم نتكلم عن موجبات ذلك تغيير وهو حال القوم وتحولهم من الأحسن إلى الأسوأ أو العكس.

قال تعالى: ( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )[[25]](#endnote-26) و ( مَا ) لفظ عام فتشمل: النعمة والنقمة، والعزة والذلة، والقوة والضعف، والاتحاد والاختلاف، والغنى والفقر، والأمن والخوف.

فالآية نص في صورتي تغيير الله من الأحسن إلى الأسوأ والعكس.

كذلك ما ورد في سورة الأنفال من استبدال لفظ ( مَا ) في سورة الرعد بلفظ ( نِعْمَة ) حيث قال:

( ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ )[[26]](#endnote-27)

فلفظ ( نِعْمَة ) أخص من لفظ ( مَا ) التي تشمل النعمة وضدها، لكن الآية لا تختلف عن آية الرعد إلا في الصياغة ؛ ففي هذه الآية بيان لصورة بالمنطوق وهو التحول من النعماء إلى الضراء ( مُغَيِّرًا نِّعْمَةً ) وأخرى بالمفهوم وهو التحول من الضراء إلى النعماء مرة أخرى ما استقاموا على ما كانوا عليه قبل تحول نعمة الله.

و لفظ ( نِعْمَة ) عام في جميع أنواع النعم فتشمل الغنى ورغد العيش، والصحة والعافية، والعزة و النصر، والأمن والأمان، والتقدم والرخاء و الحب والإخاء وتشمل الكثير مما لا يمكن حصره، قال تعالى: ( وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ) [[27]](#endnote-28)

إذاً التغيير من الأمن إلى الخوف، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الوحدة إلى الشتات، ومن القوة إلى الضعف، ومن النصر إلى الهزيمة، والعكس، هو بإذن الله تعالى.

قال تعالى في قصة موسى وفرعون: ( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ )[[28]](#endnote-29) فهي نعمة الأمن والنصر والتمكين لبني إسرائيل من بعد الذبح للذرية والاستباحة النساء وهو بلاء عظيم، ونقمة على فرعون وهامان وجنودهما من بعد رغد العيش وملك مصر والأنهار التي تجري من تحتهم: ( كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ )[[29]](#endnote-30) إلى أسوأ حال ( فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ \* وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ )[[30]](#endnote-31)

يقول ابن جوزي: " مَا أقرب الْمَوْت من الْحَيّ وَيَا لله كم هُنَالك من ملك طويل النجاد رفيع الْعِمَاد عَظِيم الأجناد كثير الأمداد قد ملك الْبِلَاد وقهر الْعباد وَوصل من دُنْيَاهُ إِلَى كثير مِمَّا أَرَادَ قعد ونهض وأبرم وَنقض وَجعل أمره المفترض وَحكمه الَّذِي لَا يرد وَلَا ينْقض وطالما حرق وَهدم وَكسر وحطم وزلزل ودمدم واسترحم فَلم يرحم وَمضى على مَا شَاءَ من رَأْيه وصمم.

بنى الْمَدَائِن والحصون وَأكْثر من مَاله المخزون واستعد لما قد يكون أَو لَا يكون حَتَّى إِذا استحكمت لَهُ الْأُمُور وَأطَال الْفَرح وَالسُّرُور وزخرف الدساكر والقصور وَظن أَن قد ساعده فِيمَا بَقِي من أمله الْمَقْدُور قلبت لَهُ الدُّنْيَا ظهر الْمِجَن وكسته من خطبهَا مَا أجن وسقته من كربها مَا يسكر بِهِ ويجن نظرت بِعَينهَا الشوساء إِلَيْهِ وقبضت مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ وَأَتَتْ بُنْيَانه من قَوَاعِده فألقته عَلَيْهِ فَأصْبح وَقد هدم ذَلِك الْبُنيان وَسقط ذَلِك الإيوان وتبددت تِلْكَ الْمُقَاتلَة والفرسان وَتَفَرَّقُوا شذر مذر بِكُل مَكَان وَأصْبح كل مَا كَانَ كَأَنَّهُ مَا كَانَ وَقيل ملك فِي سالف الزَّمَان ملك يُقَال لَهُ فلَان بن فلَان لم يحصل مِمَّا ملك من الْبِلَاد وَلَا مَا ادخر من المَال وَأعد من العتاد إِلَّا على حنوط وكفن وحفرة ضيقَة العطن يحتبس فِيهَا ويرتهن بِكُل مَا عمل من قَبِيح أَو حسن "[[31]](#endnote-32)

ولصور تحول نعمة الله دركات فمن أعظمها:

المعيشة الضنك:

قال تعالى: ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً )[[32]](#endnote-33) والمعيشة الضنك هي الفساد في البر والبحر، كما قال الله تعالى: ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )[[33]](#endnote-34).

كالزلال والبراكين والفيضانات والسيول والهدم والحرق والخسف والأوبئة والأمراض والجدب والقحط والفقر والجوع والخوف والذل و الحرب والدمار والأسر والتشريد و الضياع والشتات.

محق البركة:

محق البركة من صور تحول نعمة الله فقد توجد الأموال، ولا توجد البركة، فلا نفع فيها حينئذ، قد يستفيد منها أفراد معدودون يختزلونها لأنفسهم، ويدخرونها، أو يحوطونها ويمنعون الناس من الانتفاع بها، بل قد لا ينتفعون هم أنفسهم بها فيموتون وقد حرموا بركة المال، فيوجد المال ولكن لا توجد البركة في الانتفاع به والاستفادة منه، فكأنه لم يوجد حينئذ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ "[[34]](#endnote-35).

ونرى بأعيننا صورا من محق البركة: قلة الربح في التجارة، وقلة الريع في الزراعة، وقلة الدر والنسل في الحيوانات، ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ )[[35]](#endnote-36)

لذلك كان من دعاء رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا، وَاجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ " [[36]](#endnote-37)

اختلال الأمن وتسلط الأعداء :

وهو من صور تحول نعمة الله على عباده قال تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )[[37]](#endnote-38) (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ )[[38]](#endnote-39)

فالله هو القادر على أن يسلطهم وهو القادر على أن يكف أيديهم عنا وليس علينا إلا الأخذ بالأسباب: ( فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً )[[39]](#endnote-40)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا "، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ "، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: " حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " [[40]](#endnote-41)

فالأمن لا يمنحه إلا الله ولا يسلبه إلا الله، نعمة ونقمة جزاء وفاقا.

( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \*الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ )[[41]](#endnote-42)

1. **موجبات التغيير :**

أ - موجبات التغيير من الأحسن إلى الأسوأ:

من الإيمان للكفر، ومن التوحيد للشرك، ومن السنة للبدعة، ومن الطاعة للمعصية، ومن العدل للظلم، ومن الاجتماع للفرقة.

1- الانحراف العقدي بالكفر والشرك أو البدع والأهواء :

قال تعالى: ( وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ \* وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ )[[42]](#endnote-43) وقال سبحانه: ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ )[[43]](#endnote-44)

قال ابن القيم: " لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ ؛ عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير وهرم عليها الكبير فلم يروها منكرا.

فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل ؛ فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم..

اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبايح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح "[[44]](#endnote-45)

2- الذنوب والمعاصي:

قال الله تعالى: ( وَمَا أَصَـابَكُمْ مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِير)[[45]](#endnote-46) وقال تعالى: ( أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـاهُمْ فِي الأرْضِ مَا لَمْ نُمَكّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مَّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأنْهَـارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ )[[46]](#endnote-47)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

* لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.
* وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.
* وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.
* وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.
* وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ "[[47]](#endnote-48)

قال ابن القيم: " وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه: ( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ )[[48]](#endnote-49)

ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها... فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له " [[49]](#endnote-50)

3- الظلم والجور:

قال الله تعالى: ( وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ) [[50]](#endnote-51)

وقال سبحانه: ( فَبِظُلْمٍ مّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيّبَـاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً )[[51]](#endnote-52)

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ( إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ ) من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ( حَتَّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ) من ذلك بظلم بعضهم بعضا، واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره"[[52]](#endnote-53)

وفي الحديث القدسي يقول اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا "[[53]](#endnote-54)

فالتغيير من العدل إلى الظلم، سواء ظلم النفس أم ظلم الغير، حتى الدواب لا يجوز ظلمها فقد حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن امرأة دخلت النار بسبب ظلم هرة قال: " دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ "[[54]](#endnote-55)

فكيف ببني آدم الذين يُظلمون وتضرب أبشارهم وجلودهم بغير حق وتؤخذ أموالهم أو يمنعون من أقل حقوقهم الآدمية، هذا الظلم هو من التغيير الذي يعاقب الله تبارك وتعالى عليه.

4 – الفرقة والاختلاف:

قال تعالى: ( وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ )[[55]](#endnote-56) وقال سبحانه: ( يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ )[[56]](#endnote-57)

قال ابن عباس:" يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَة وَالْفُرْقَةِ "[[57]](#endnote-58)

فالاجتماع من خصائص المؤمنين والافتراق من صفات الكافرين ( بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى )[[58]](#endnote-59) ووصف حالهم العليم الخبير فقال ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ )[[59]](#endnote-60)

ولأهل البدع نصيب من ذلك فهذه الفرقة تقول هذه ليست على شيء وتلك تقول هذه ليست على شيء ( تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ )[[60]](#endnote-61) والله يقول لهم جميعا: ( وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )[[61]](#endnote-62).

ب - موجبات التغيير من الأسوأ إلى الأحسن:

التوبة والرجوع إلى الله تعالى:

من الكفر والشرك للإيمان والتوحيد، ومن البدعة والأهواء للسنة والاتباع، ومن الذنوب والمعاصي إلى الطاعة والعمل الصالح ومن الظلم والجور للعدل والإحسان ومن الفرقة والاختلاف للاجتماع والاتفاق.

 قال الله تعالى: ( وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )[[62]](#endnote-63).

وقال سبحانه: ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ )[[63]](#endnote-64)

فالإيمان بالله تعالى يعد شرطا أوليا لبسط النعمة و الرفاهية والرخاء، والعمل الصالح الذي يترجم هذا الإيمان إلى سلوك هو صمام الأمان للحفاظ على هذه النعمة.

قال ابن كثير: " إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم حتى يغيروا ما أنفسهم من الأحوال الحميدة، وإنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله، إلا تحول لهم مما يحبون إلى ما يكرهون،، فإذا حصل هذا التغيير منهم فقدوا ما عندهم من نعمة" [[64]](#endnote-65)

يقول الشيخ ناصر السعدي: "( إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ) من النعمة والإحسان ورغد العيش ( حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة " [[65]](#endnote-66)

وقال سبحانه في الاجتماع: ( وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ) [[66]](#endnote-67)

وقال سبحانه: ( وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )[[67]](#endnote-68)

وقال: ( وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )[[68]](#endnote-69).

وحتى يكون التغيير مثمرا، ينبغي أن يكون الولاء للغايات والقيم، ويكون ذلك هو المحور الذي يتمركز حوله فكر وإرادة وسلوك الأفراد وعلاقاتهم وسياستهم للمجتمع، وفي هذه الحالة تتسلم الأمة مركز القيادة واتخاذ القرار للبشرية ؛ لأن حالة القوة تولد حين يتزاوج عنصران هما: الإخلاص في الإرادة، والسعي في العمل، أما عندما تتشكل شبكة العلاقات في المجتمع طبقا لمحاور الولاء الفردي والعشائري والحزبي والمذهبي، وطبقا للدوران في فلك الأشياء والأشخاص لا القيم والغايات فإن الإنسان يصبح أرخص شيء داخل المجتمع وخارجه، ويدور الصراع الداخلي في المجتمع نفسه، ويمزقه إلى طوائف وشيع وأحزاب يذيق بعضها بأس بعض، ثم يكون من نتائج ذلك الفشل وذهاب الريح والتحول من ريادة البشرية إلى التبعية المهينة.

1. **مناهج النظر في سنن التغيير ( التصور الإسلامي والتصور المادي ):**

إن أساس كل تغيير وفق سنة الله الاجتماعية التي لا تتبدل ولا تتحول هو تغيير اللبنة الأساسية في كيان المجتمع أو بتعبير القرآن تغيير ما بالأنفس: تغيير العقائد والأفكار والمبادئ والقيم وفق منهج الله تعالى ؛ فجعل القرآن علاقة وثيقة العرى بين تغيير ما بداخل النفس وتغيير الواقع الاجتماعي على اعتبار الإنسان عضوا من أعضاء الجسد الواحد المتحرك الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

خلافا لقوانين المادية التاريخية التي تجعل الإنسان كائنا سلبيا لا إرادة له إزاء قوة المادة أو قوة الاقتصاد ووسائل الإنتاج، والتي تصور الإنسان بأنه ترس في ماكينة الإنتاج.. آلة جامدة لا تعرف مشاعر ولا أحاسيس ولا تعرف مبادئ ولا قيم، ولا تواصل اجتماعي بين أعضائه إلا العلاقة النفعية ومتى تعب العضو أو مرض أو كَلَّ يستبدل به ما يحقق وظيفته وتطوى صحيفة حياته الاجتماعية.

لكن القرآن الكريم بين أثر الفرد في تغيير المجتمع وأثر المجتمع في تغيير الفرد، وجعل العلاقة بينهما علاقة الجسد الواحد، وجعل مدار الحركة التاريخية على تلك المنظومة، وأوكل مهمة التغيير والبناء للأمة أفرادا وجماعات.. حكومات وشعوب، وكلفهم جميعا بتحقيق الخلافة الإلهية على الأرض، وإنشاء العمران عليها.

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )[[69]](#endnote-70)

كان العلم والعمل بهذه السنن منذ عهد النبوة، ولكنه كان كبقية العلوم الإسلامية غير مقنن وغير مدون ؛ يظهر ذلك جليّاً لمن تدبر كتاب الله وبخاصة قصص الأمم السابقة: ( أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... )[[70]](#endnote-71) وفي قصص الأنبياء ؛ فهي لم تذكر لمجرد السرد القصصي، بل كما قال تعالى: ( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ... )[[71]](#endnote-72)، كما يظهر ذلك أيضاً في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه الرشيد مع أصحابه، ويظهر كذلك في سلوك الصحابة والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - وفي جهادهم الواعي للأمم الأخرى.

حتى لمح ابن خالدون أحد علماء المسلمين العظام هذا الجانب ببصيرة نافذة، وأدرك أنه لمح شيئاً خطيراً لم يُسبق إليه في إقامة العمران وتتبع سنن التغيير في الأمم والبلدان، ولكن المشكلة أنه لم يتبعه أحد من بعده تأصيلا وتنظيرا لهذا المنهج العظيم في العالم الإسلامي إلا ما كان على سبيل الخواطر لا يقوم على منهجية شاملة، إذ أنَّ هذا المنهج قد بدأ به ابن خلدون، ثم توقف من بعده.

فما أحوج العالم الإسلامي اليوم لإدراك مشاكله في ضوء سنة التغيير، وبذل ما يستحقه البحث في أصول الحضارات وكيف جرت عليها تلك السنة، كما فعل ابن خلدون، " ووقتها ينضبط الفكر البشري ويستقيم ولا تتقاذفه الثقافات المادية ذات اليمين وذات الشمال، وبذلك يسلم من التفسيرات المادية للأحداث، والتي تربط كل المتغيرات بأسباب مادية بحتة ؛ كتلك التي تربط النصر والهزيمة بأسباب مادية، أو تلك التي تفسر العقوبات الربانية كالزلازل والأعاصير بكونها ظواهر فلكية بحتة، متجاهلين قدر الله وحكمته.

كما أن هذه المعرفة تثمر أيضاً: معرفة الموازين المنضبطة الثابتة التي توزن بها الأمور والأحوال والأشياء، وحُقّ لها أن تكون بهذه المثابة ؛ لأنها من عند الله العليم الخبير الذي يعلم ما كان وما سيكون، والذي له الكمال المطلق، وهو سبحانه يقصّ القصص على عبيده رحمة منه وفضلاً وبيانا لجانب من أسرار سنته وقدره ليعتبر الناس ويتعظوا، وليدركوا الحكمة الكامنة وراء هذه السنن والموازين الإلهية، والتي بدورها تؤدي إلى معرفة المنهج الصحيح للتغيير، كما تؤدي إلى المنهج الصحيح لتقويم الأمور ووزنها بالميزان الحق.

1. **نماذج لسنة التغيير:**
2. ] قصة سبأ [:

قال الله تعالى: ( لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ )[[72]](#endnote-73)

" وسبأ اسم لقوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن وكانوا في أرض مخصبة ما تزال منها بقية إلى اليوم. وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق، فأقاموا خزانا طبيعيا يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سدا به عيون تفتح وتغلق، وخزنوا الماء بكميات عظيمة وراء السد، وتحكموا فيها وفق حاجتهم. فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم. وقد عرف باسم: سد مأرب.

وهذه الجنان عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل، ومن ثم كانت آية تذكر بالمنعم الوهاب. وقد أمروا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين: ( كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ )..

وذكروا بالنعمة. نعمة البلد الطيب وفوقها نعمة الغفران على القصور من الشكر والتجاوز عن السيئات.( بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ )..

سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء. وسماحة في السماء بالعفو والغفران. فماذا يقعدهم عن الحمد والشكران؟ ولكنهم لم يشكروا ولم يذكروا:

( فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ، وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ: خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ )..

أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه وأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد وانساحت المياه فطغت وأغرقت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت. وتبدلت تلك الجنان الفيح صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة:

( وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ: خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ )..

والخمط شجر الأراك أو كل شجر ذي شوك. والأثل شجر يشبه الطرفاء. والسدر النبق. وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا قليل! ( ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ ).." [[73]](#endnote-74)

" فهذا الذي ذكر الله من قصة سبأ وغيرها، إنما ذكره لنا ليبين لنا إحسان المحسن وثوابه، وإساءة المسيء وعقوبته، ليتجافى الناس عن المعاصي ويرغبوا في الطاعة ويسارعوا إلى ما رغَّبهم فيه، ويزدجروا عن ما نهاهم عنه ويخافون أن يحل بهم ما حل بمن قص عليهم عقوبته، ويبادروا إلى فعل من قص عليهم كرامة لهم، فهي مواعظ وأمثال تكرر في القرآن ليتنبه لها الغافل ويجتهد المتنبه إحساناً من الله تعالى ونعمة علينا " [[74]](#endnote-75)

1. ] قصة: الأبرص والأقرع والأعمى[ :

" ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: أن ثلاثة من بني إسرائيل ابتلاهم الله عز وجل بعاهات في أبدانهم، أحدهم أبرص، والثاني أقرع ليس على رأسه شعر، والثالث أعمى لا يبصر.

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبتليهم ويختبرهم، لأن الله سبحانه يبتلي العبد بما شاء ليبلوه هل يصبر أو يضجر إذا كان ابتلاه بضراء، وهل يشكر أو يقتر إذا كان قد ابتلاه بسراء.

فبعث الله إليهم ملكا من الملائكة وأتاهم يسألهم: أي شيء أحب إليهم ؟ فبدأ بالأبرص فقال: " أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به " لأن أهم شيء عند الإنسان أن يكون معافى من العاهات، ولاسيما العاهات المكروهة عند الناس. فمسحه الملك فبرئ بإذن الله، وزال عنه البرص، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا.

ثم قال له: " أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل " فأعطاه ناقة عشراء، وقال له: بارك الله لك فيها. فذهب عنه الفقر، وذهب عنه العيب البدني، ودعا له الملك بأن يبارك الله له في هذه الناقة.

ثم أتى الأقرع وقال: " أي شيء أحب إليك ؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس" فمسحه، فأعطى شعرا حسنا. وقيل له: " أي المال أحب إليك؟ قال البقر، فأعطى بقرة حاملا، وقال له: بارك الله لك فيها

أما الأعمى فجاء الملك فقال له: " أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله علي بصري فأبصر به الناس " وتأمل قول الأعمى هذا، فإنه لم يسأل إلا بصرا يبصر به الناس فقط، أما الأبرص والأقرع فان كل واحد منهما تمني شيئا أكبر من الحاجة، لأن الأبرص قال: جلدا حسنا ولونا حسنا، وذاك قال: شعرا حسنا، فليس مجرد جلدا أو شعر أو لون، بل تمنيا شيئا أكبر، أما هذا فإن عنده زهدا، لذا لم يسأل إلا بصرا يبصر به الناس فقط. ثم سأله: " أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم " وهذا أيضا من زهده، فلم يتمني الإبل ولا البقر، بل الغنم، ونسبة الغنم للبقر والإبل قليلة، فأعطاه شاة والدا وقال: بارك الله لك فيها. فبارك الله سبحانه وتعالى للأول في إبله، وللثاني في بقره، وللثالث في غنمه، وصار لكل واحد منهما واد مما أعطي، للأول واد من الإبل، وللثاني واد من البقر، وللثالث واد من الغنم.

ثم إن هذا الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته، صورته البدنية، وهيئته الرثة، ولباسه لباس الفقير، وقال له: " رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك". فتوسل إليه بذكر حاله أنه فقير، وأنه ابن سبيل أي مسافر، وأن الحبال أي الأسباب التي توصله إلى أهله قد انقطعت به، وأنه لا بلاغ له إلا بالله ثم به. وقال له: " أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري " لكنه قال: " الحقوق كثيرة " وبخل بذلك، مع إن له واديا من الإبل، لكنه قال: الحقوق كثيرة، وهو فيما يظهر والله أعلم أنه لا يؤدي شيئا منها، لأن هذا من أحق ما يكون، لأنه مسافر وفقير وانقطعت به الحبال، ومن أحق ما يكون استحقاقا للمال، ومع ذلك اعتذر له! فذكره بما كان عليه من قبل فقال له: " كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله " أي أعطاك المال وأعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، ولكنه قال والعياذ بالله: " إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر" وأنكر نعمة الله. فقال له الملك: " إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت" أي: إن كنت كاذبا فيما تقول فصيرك الله إلى ما كنت من الفقر والبرص. والذي يظهر إن الله استجاب دعاء الملك وأن كان دعاء مشروطا، لكنه كان كاذبا بلا شك، فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط.

وأتى الأقرع فقال له مثلما قال للأبرص، ورد عليه مثلما رد عليه الأبرص، فقال: " إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت عليه"

وأتى الأعمى وذكره بنعمة الله عليه: " فقال: كنت أعمى فرد الله إلي بصري" فأقر بنعمة الله عليه " فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل". أي: لا أمنعك ولا أشق عليك بالمنع بشيء أخذته لله عز وجل.

فانظر إلى الشكر والاعتراف بالنعمة. فقال له الملك: " امسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط علي صاحبيك".

فأمسك ماله وبقي قد أنعم الله عليه بالصبر، وأما الآخران فإن الظاهر أن الله ردهما إلي ما كنا عليه من الفقر والعاهة والعياذ بالله.

وفي هذا دليل على إن شكر نعمة الله على العبد من أسباب بقاء النعم وزيادتها، كما قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) " [[75]](#endnote-76)

1. ] قصة صاحب الجنتين [:

( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا \* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا \* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا \* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا \* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا \* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا \* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا \* فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا \* أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا \* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا )[[76]](#endnote-77).

" ضرب الله مثلا برجلين، جعل لأحدهما جنتين أي: بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجود ؛ أخرجت ثمارها ولم تنقص منه شيئا والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا.

فقال صاحب الجنتين ( لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ) أي: يجادله ويخاصمه، ويفتخر عليه: ( أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) أي: أكثر خدما وحشما وولدا.

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ( قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ) وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة ؛ ولهذا قال: ( وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ) أي: كائنة ( وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ) أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني محظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، تألى على الله، عز وجل، قال له صاحبه: واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار: ( أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ) وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات؛ قال: ( لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية ( وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ) أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، و ( قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ) (فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ) أي: على جنتك التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى (حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ): أي مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها: ( فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ) أي: بلقعا ترابا أملس، لا يثبت فيه قدم.

( أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ) أي: غائرا في الأرض، وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض، ( وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ) بأمواله، أو بثماره، ووقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته، التي اغتر بها وألهته عن الله، عز وجل (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ) يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليه ( وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ ) أي: عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز ( يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ) "[[77]](#endnote-78)

1. **سنة التغيير في حياة الصحابة:**

إن الفترة التي سبقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعدُّ من أحلك الفترات في تاريخ البشرية وأكثرها ضلالاً وضياعاً. ولهذا استحقت المقت من الله تعالى كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ؛ عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب "[[78]](#endnote-79).

فالعالم يتخبط في ظلمات الأديان المحرفة، والوثنيات الطاغية، والأنظمة الجائرة، وحياة الناس في قسم كبير منه هي أقرب إلى حياة البهائم منها إلى حياة البشر في كل مناحي الحياة. والقسم المتمدن منه ؛ فارس والروم: كانا يخضعان لنظام مستبد ودين محرَّف.

وأما عرب الجزيرة: فهم في حياتهم القبلية وعاداتهم أقرب إلى حال الشعوب الهمجية، تنشب الحرب بينهم لأتفه الأسباب وتستمر سنين مثل حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرها مما أضعف قوتها وبدد عزتها وفرق كلمتها.

فالعالم كله كان يعيش في ظلمة حالكة يحتاج إلى الخروج للنور عن طريق دعوة ربانية تأخذ على عاتقها أمانة تغيير أوضاعه وعقائده وأنظمته، وانتشال الناس من هذا الواقع المؤلم البئيس.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة يمثلون الجماعة التي أخذت على عاتقها مسؤولية التغيير وحماية الحق الذي آمنت به، وإن كان من وراء ذلك جفوة الأهل وسخط العشيرة وعذاب الملأ من قريش ونكالهم، فلم يصرفهم ذلك عن تلك الأمانة التي حملوها، أمانة التغيير.

" قال قتادة رحمه الله:" كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا، وأبينه ضلالا مكعومين على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيا، ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم، حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا لله نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى " [[79]](#endnote-80)

1. **سنة التغيير وواقع المسلمين اليوم :**

علينا أن نقف وبصدق على حقيقة حال أمتنا اليوم لنستطيع الاستفادة من الدروس والعبر في سنة الله في هذه الأمة:

ففي مجال السياسة: الأمة تحكم بغير ما أنزل الله بمقتضى قوانين وضعية محلية كانت أو إقليمية ودولية، وقد نحي دستور الإسلام عن الحكم منذ زوال الخلافة الإسلامية التي حكمت بالإسلام، واتخذت القرآن دستورًا، وسنة نبينا هاديًا ودليلاً، وأصبحت أشكال الحكم ومسمياته تبعد بالناس عن العقيدة وأحكام الشريعة.

وفي مجال الاقتصاد: فاقتصاد المسلمين يقوم على الربا الذي حرّمه الله، وأصبحت المؤسسات الربوية ركيزة من ركائز الاقتصاد الرأسمالي القائم على الربا والاحتكار وجمع الثروة بأية وسيلة، دون النظر إلى آفاتها وآثارها على المجتمع، مع أن الله جل وعلا لم يعلن حربًا على ذنب كإعلانه الحرب على الربا والمتعاملين به، يقول سبحانه وتعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[[80]](#endnote-81).

وفي مجال الحياة الاجتماعية: فالسفور والتبرج والاختلاط بين الرجال والنساء، وتشبه الجنسين بعضهم ببعض، وكأن مقياس الحضارة الاجتماعية أصبح الميوعة والتخنث وتقليد المجتمعات الإباحية التي لا تعرف للفضيلة معنًى ولا للمروءة قيمة، المروءة التي عرفها المسلمون تحافظ على العرض، وترعى الشرف، وتضع المرأة في مكانها اللائق من الصون والكمال والعفة.

وفي مجال الحياة الثقافية: فقد غزتها أفكار الآخرين وثقافاتهم، التي أخرجت أبناء الأمة عن تميزهم بالشخصية الإسلامية، التي توازن بين نداء الروح ومتطلبات البدن ؛ لتخرج إنسانًا سويًّا في فكره وأخلاقه وعلمه وثقافته، وتشده إلى كوامن الإيمان ونوازع الخير.

وفي مجال التربية والتعليم: تركزت التربية على سلخ الإنسان المسلم من ماضيه وحاضره، ليلحق بركب المستعمرين الذين يروجون لمشاريع التغيير في ديار المسلمين، بما يسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير أو الصغير أو الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ؟! هذا المشروع الذي يسعى للهيمنة على ديار المسلمين، فقد أعد ليشمل كل بلاد المسلمين التي نعمت حتى أجلٍ قريب بحكم الإسلام، وامتد إليها سلطان المسلمين، وكان خليفتهم يخاطب السحابة قائلا: " أمطري أين شئت، فإن خراجك محمول إلينا".

فالحقيقة المُرَّة أن الأمة غيرت في كل المجالات، فكانت السنة الحتمية لهذا التغيير كما قال ربنا جل وعلا: ( إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ) ماذا حدث؟! ذلت الأمة بعد عزة، وجهلت الأمة بعد علم، وضعفت الأمة بعد قوة، وأصبحت الأمة في ذيل القافلة البشرية، بل وأصبحت الأمة تتأرجح في سيرها، ولا تعرف طريقها، لا تعرف من توالي، ولا تعرف من تعادي.

ولكن سنة الله أنها ما عادت الأمة ورجعت إلا ويبدل الله حالها، فالمسلمون في قرون بلغوا القمم، وفي أخرى هبطوا إلى القيعان، وكانوا في الحالين مرهونين بمدى تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

أن حالنا اليوم لن يغيره الله حتى نغير ما بأنفسنا من انتشار الشرك والبدع والأهواء، ومن الفرقة والاختلاف والتنازع، ومحو آثار المعاصي والذنوب، وترك الظلم والجور والعدل مع القريب والبعيد والعدو والصديق، والفرار إلى الله، وتحكيم شرعه في جميع شؤون الحياة.

وتغيير الحال لا يكون بالتمني والأماني، ولكن بالعمل الجاد والنية الخالصة والسلوك القويم، فمن أراد أن يصل إلى بر الأمان، فعليه أن يعد الزاد من التقوى والعمل الصالح، وإلا كان كما قال القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسـالكها \*\*\* إن السفينة لا تمشي على اليبس

ولنا أسوةٌ حسنة في حال سلفنا الصالح الذين قبلوا نعمة الله، وحملوا الإسلام الذي رضيه الله لنا دينًا، فغيّر الله أحوالهم من الضعف إلى القوة، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الضلال إلى الإيمان، ومن الذل إلى العزة، وغدت دولة الإسلام هي الدولة الأولى في العالم عدة قرونٍ من الزمان، يطمع في عدلها الضعفاء، ويهابها الأعداء، وينتشر سلطانها شرقًا وغربًا، يحكم خليفتها بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وتطبِّق رايتها شرع الله، في سلوكٍ لا يعتريه الخلل، وعملٍ لا يشوبه الزلل، (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ)[[81]](#endnote-82)، فأيّدهم الله بنصره، وأمدّهم بتوفيقه وعونه، ومكن لهم في الأرض، واستخلفهم فيها.

إن المستقبل لهذا الدين لأنه دين الله والله قادر إذا توجهت الأمة إليه لتتلقى منه خطة السير وفق المنهج الرباني أن يغيير حالها ويصلح شأنها ليؤهلها مرة ثانية لقيادة البشرية وريادتها وفق سنن الله الإلهية التي لا تتبدل ولا تتحول إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. والحمد لله رب العالمين

1. سورة إبراهيم : ( آية : 1 ) [↑](#endnote-ref-2)
2. سورة الرعد ( آية : 11 ) . [↑](#endnote-ref-3)
3. مجموع الفتاوى ( 6 \ 250 ) [↑](#endnote-ref-4)
4. سورة طه ( آية : 123 - 124 ) [↑](#endnote-ref-5)
5. سورة الرعد ( آية : 11 ) . [↑](#endnote-ref-6)
6. رواه البخاري ( 52 ) ورواه مسلم (1599 ) . [↑](#endnote-ref-7)
7. سورة الرعد ( آية : 11 ) [↑](#endnote-ref-8)
8. سورة الأنفال ( آية : 25 ) [↑](#endnote-ref-9)
9. . رواه البخاري (6408 ) ورواه مسلم (2689) واللفظ لمسلم [↑](#endnote-ref-10)
10. سورة البقرة ( آية : 204- 205 ) [↑](#endnote-ref-11)
11. رواه البخاري (2313) . [↑](#endnote-ref-12)
12. رواه البخاري ( 3346 ) ومسلم ( 2880 ) . [↑](#endnote-ref-13)
13. أخرجه ابن مبارك في كتاب الزهد (1351) [↑](#endnote-ref-14)
14. أخرجه ابن مبارك في كتاب الزهد (1350) [↑](#endnote-ref-15)
15. رواه مسلم ( 55 ) [↑](#endnote-ref-16)
16. سورة آل عمران ( آية : 110 ) [↑](#endnote-ref-17)
17. سورة الأعراف ( آية : 58 ) [↑](#endnote-ref-18)
18. سورة النحل ( آية : 26 ) [↑](#endnote-ref-19)
19. سورة التوبة ( آية : 109 ) [↑](#endnote-ref-20)
20. رواه مسلم ( 129 ) [↑](#endnote-ref-21)
21. رواه البخاري ( 4677 ) ومسلم (2769 ) [↑](#endnote-ref-22)
22. سورة العنكبوت ( آية : 29 ) [↑](#endnote-ref-23)
23. سورة المائدة ( الآية : 105) . [↑](#endnote-ref-24)
24. رواه أبو داود (4338) و ابن ماجه (4005) وأحمد (1) وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين . [↑](#endnote-ref-25)
25. سورة الرعد ( آية : 11 ) [↑](#endnote-ref-26)
26. سورة الأنفال ( آية : 53 ) [↑](#endnote-ref-27)
27. سورة إبراهيم ( آية : 34 ) [↑](#endnote-ref-28)
28. سورة القصص ( آية 4: 6 ) [↑](#endnote-ref-29)
29. سورة الدخان ( آية : 28:25 ) [↑](#endnote-ref-30)
30. سورة الأعراف ( آية : 136 - 137 ) [↑](#endnote-ref-31)
31. العاقبة في ذكر الموت ( 1 \ 53 ) [↑](#endnote-ref-32)
32. سورة طه ( آية : 123 - 124 ) [↑](#endnote-ref-33)
33. سورة الروم ( آية : 41 ) [↑](#endnote-ref-34)
34. رواه مسلم ( 2060 ) [↑](#endnote-ref-35)
35. سورة الأعراف ( آية : 96 ) [↑](#endnote-ref-36)
36. رواه مسلم ( 1374 ) [↑](#endnote-ref-37)
37. سورة المائدة ( آية : 11 ) [↑](#endnote-ref-38)
38. سورة النساء ( آية : 90 ) [↑](#endnote-ref-39)
39. سورة النساء ( آية : 84 ) [↑](#endnote-ref-40)
40. أخرجه أبو داود (4297) أخرجه أحمد (8713 ) صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ( 3257 ) وانظر السلسلة الصحيحة ( 956 ) وقال الشيخ الأرنؤوط حسن لغيره . [↑](#endnote-ref-41)
41. سورة الأنعام ( آية : 81- 82 ) [↑](#endnote-ref-42)
42. سورة النحل ( آية : 112 -113 ) [↑](#endnote-ref-43)
43. سورة إبراهيم ( آية : 7 ) [↑](#endnote-ref-44)
44. الفوائد صـ 49 باختصار [↑](#endnote-ref-45)
45. سورة الشورى ( آية : 30 ) [↑](#endnote-ref-46)
46. سورة الأنعام ( آية : 6 ) [↑](#endnote-ref-47)
47. أخرجه ابن ماجه في الفتن (4019)، والبيهقي في الشعب (3/197)، وصححه الحاكم (4/540)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (106). [↑](#endnote-ref-48)
48. سورة الرعد ( آية : 11 ) [↑](#endnote-ref-49)
49. بدائع الفوائد ( 2 \ 205 ) [↑](#endnote-ref-50)
50. سورة هود ( آية : 102 ) [↑](#endnote-ref-51)
51. سورة النساء ( آية : 160 ) [↑](#endnote-ref-52)
52. تفسير الطبري ( 16 \ 382 ) [↑](#endnote-ref-53)
53. رواه مسلم ( 2577 ) [↑](#endnote-ref-54)
54. رواه البخاري ( 3318 ) ومسلم ( 2242 ) واللفظ للبخاري . [↑](#endnote-ref-55)
55. سورة الأنفال ( آية : 46 ) [↑](#endnote-ref-56)
56. سورة البقرة ( آية : 106 ) [↑](#endnote-ref-57)
57. تفسير ابن كثير ( 2 \ 92 ) [↑](#endnote-ref-58)
58. سورة الحشر ( آية : 14 ) [↑](#endnote-ref-59)
59. سورة البقرة ( آية : 113 ) [↑](#endnote-ref-60)
60. سورة البقرة ( آية : 118 ) [↑](#endnote-ref-61)
61. سورة البقرة ( آية : 103 ) [↑](#endnote-ref-62)
62. سورة النور ( آية : 31 ) [↑](#endnote-ref-63)
63. سورة الأعراف ( آية : 96 ) [↑](#endnote-ref-64)
64. تفسير ابن كثير ( 4/440) [↑](#endnote-ref-65)
65. تفسير السعدي (1/414) [↑](#endnote-ref-66)
66. سورة البقرة ( آية : 103 ) [↑](#endnote-ref-67)
67. سورة المائدة ( آية : 2 ) [↑](#endnote-ref-68)
68. سورة الأنفال ( آية : 63 ) [↑](#endnote-ref-69)
69. سورة النور ( آية : 55 ) [↑](#endnote-ref-70)
70. سورة غافر ( آية : 21 ) [↑](#endnote-ref-71)
71. سورة يوسف ( آية : 111 ) [↑](#endnote-ref-72)
72. سورة سبأ ( آية : 15- 17 ) [↑](#endnote-ref-73)
73. تفسير الظلال ( 5 \2901 ) . [↑](#endnote-ref-74)
74. الهداية إلى بلوغ النهاية ( 9 \ 5915 ) [↑](#endnote-ref-75)
75. شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين ( 1 \503 ). والحديث رواه البخاري ( 3464 ) ورواه مسلم ( 2964 ) . [↑](#endnote-ref-76)
76. سورة الكهف ( آية : 32 -43 ) [↑](#endnote-ref-77)
77. مستفاد من تفسير ابن كثير ( 5 \ 160 ) باختصار . [↑](#endnote-ref-78)
78. رواه مسلم رقم (2865) [↑](#endnote-ref-79)
79. تفسير ابن كثير ( 4\ 35 ) [↑](#endnote-ref-80)
80. سورة البقرة ( آية : 278 ) [↑](#endnote-ref-81)
81. سورة الحج ( آية : 31 ) [↑](#endnote-ref-82)